دراسات

في آثار الاقدمين الروحية

لناشر سيفين

﴿ آمن ﴾ — آمن ومعناه الخفي هو اله الشمس في طيبة ولا يزال هذا الاسم حيًّا الى اليوم على ألسنة المتدينين من سائر الامم يختمون به صلواتهم وادعيتهم سائلين المولى ان تستجاب بقولهم آمن وآمين . ولما اتسع ملك مصر وأصبحت امبراطورية في زمن الاسرة الثامنة عشرة أصبح آمن لذلك امبراطور الآلهة ورب الارباب كافة فعزيت اليه صفات الآلهة المشابهة وخصوصاً را وأدمج الاسمان معاً فصار يعرف باسم « آمن را »

﴿ رموزه — ١ — السفينة ﴾ — شبهت الشمس في حركتها اليومية المنتشرة بالسفينة وسميت لذلك سفينة ملايين السنين . وكان يصنع رمز على هذا المثال ويخطط من الخارج بألوان الجشت وهو حجر كريم لونهُ بنفسجي والزمرد ولونه نيلي والياشب ولونه أخضر واللازورد وهو أزرق والذهب وهو اصفر فيكون من تألف هذه الالوان ما يشبه الشفق زيادة في احكام التمثيل . وتوضع هذه السفينة في الهيكل على اعتبار انها المسكن الرمزي للاله . وكان الملوك يتقربون اليه بأهداء هذا الرمز الى المعابد ويحرصون على أن يسجلوا ذلك على جدرانها . وممن سجلوا لانفسهم هذا الفخر « حرحور » اول ملك من الكهنة مؤسس الاسرة الحادية والعشرين فانهُ أوفد كاهناً يدعى أونو آمن الى سوريا لشراء الخشب اللازم لأنشاء سفينة جديدة للاله

ولا يزال لهذا الرمز حرمة عند العامة وكثيراً ما يرى في اضرحة الأولياء وهم يروون الروايات المختلفة في سبب اسناده اليهم ووضعه في أضرحتهم

وأشهر تلك الأضرحة ضريح السيد ابي الحجاج الأقصري وهو والمسجد قائمان على اطلال معبد آمن . والسفينة التي فيه مخططة بالألوان المأثورة عن سفينة آمن . فاذا كان يوم عيد صاحب الضريح وضعت السفينة على عربة ويطاف بها في المدينة ومن حولها جموع الناس يهتفون . وأغلب الظن ان ذلك كان من عادة أهل طيبة الأولين في أعياد آمن

وكما شبّه الأقدمون الشمس بالسفينة فقد شبّهوا فلكها كذلك بالبحر للمطابقة وقالوا في تفسير تعاقب الليل والنهار ان اله الشمس عند ما تحدر به السفينة من المغرب الى العالم الثاني يموت فيسود الظلام . ثم يبعث ويخرج من المشرق فيملأ الدنيا بنوره وذلك العالم الثاني واسمه عندهم دوات آلهة وعلى رأسهم آمارو اليهم مآب الأرواح وعندهم الميزان لحسابها . ووصف بانه ينقسم الى اثنتي عشرة سنطقة والنهر يجري في سائرها الا الأخيرة ولكل سنطقة باب عليه آلهة لا تأذن لأحد باجتيازه الا ان يذكر اسمها . وقد حرص القدماء لهذا على ان يضعوا مع موتاهم رقعاً من البردي فيها اسماء سدنة الأبواب وكثير من الادعية لكيلا ينسوا . وقد اجتمع لدى الأريين من هذه الرقاع مجموعة كبيرة أطلق عليها اسم كتاب الموتى

وعلى جدران مقبرة سيتي الاول بطيبة اخبار رحلة را في ذلك العالم وصورها

والذي يعنينا منها في هذا المقام ما جاء فيها عن موت را وبعثه وخلاصة ذلك ان را عند ما تحدر به السفينة الى العالم الثاني من المغرب تثقل روحه وقسه الى « خبر ـ را » الاله الذي يرمز له بالخنفسة المعروفة بالجعل أو الجعران . وعند ذلك يتولى نفيف من الآلهة اقتياد السفينة الى نهاية النهر في السنطقة الحادية عشرة . اما السنطقة الأخيرة المسماة « بشاطئ الملاد » « لأن فيها يبعث را فهي بالرحم اشبه . اذ قيل في وصفها انها عبارة عن جوف ثعبان هائل فاذا صارت السفينة في اولها وقف خبر را على المقدمة شيئاً فشيئاً ثعبث را وتولى اثنا عشر نفراً من المؤمنين جرها بالحبال حتى اذا دنت من الفم وهو نهاية الدوات تسلم الحبال من المؤمنين اثنا عشر آلهة وهؤلاء يجرونها الى الافق الشرقي . وهناك يذرّى جسد را لتيق من السفينة كما تذرّى الصافة من الحب . اما روحه وقسه فتمكثان في خبر را الى النهاية حتى يبعث من المشرق فيستقبل بالهتاف والنشيد

ولا يزال كثير من هذه الأناشيد محفوظاً وفي احداها يشبه الشروق بالخروج من الرحم في اول فقراتها وهذه ترجمتها «سلاماً ايها السيد الخارج من الرحم » وفي نشيد آخر يخاطب را بما معناه «ان الآلهة تسر برائحته عند ما ينبثق من الطل آتياً من بلاد العرب (أي الشرق) »

ومن العجيب ان تكون خلاصة هاتين الفقرتين في فقرة من المزمور العاشر بعد المائة وهي «شبابك تتدب في يوم قوتك في زينة مقدسة من رحم الفجر لك طل حداثتك »

وقد نسجت قصص كثيرة على منوال هذه الأسطورة اقدمها رؤيا يوحنا . وقد أثبت ان فيها كثيراً من الاقتباس من الاسطورة في مقال عنوانه « الكوميديا الالهية » نشر في مقتطف يوليو سنة ١٩٣٢ . واجتزىء هنا من هذا المقال بمقارنة بين المدينة المقدسة النازلة من السماء في الرؤيا وبين سفينة الشمس الخارجة من المشرق في رحلة را

يقول صاحب الرؤيا في الأصحاح الحادي والعشرين « وذهب بي — أي الملك — الى جبل عظيم عال وأراني المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من عند الله ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلوري » ثم يزيدنا عنها بياناً بقوله « وأساسات سور المدينة مزينة بكل حجر كريم : الأساس الاول يشب، الثاني ياقوت أزرق ، الثالث عقيق أبيض ، الرابع زمرد ذبابي، الخامس جزع عقيقي، السادس عقيق أحمر، السابع زبرجد، الثامن زمرد سلقي، التاسع ياقوت أصفر، العاشر عقيق أخضر، الحادي عشر اسمانجوني، الثاني عشر جمشت »

تشبه هذه المدينة في زينتها وفي كونها تنزل من السماء عند جبل عال سفينة رأى مطلعها في الأفق من المشرق وهي مزدانة بأبهى الألوان تتلألأ بالانوار

ويقول الرسول بعد ذلك « والمدينة لا تحتاج الى الشمس ولا الى القمر ليضيئا فيها لان مجد الله قد أنارها » ويقول ايضاً « سمعت صوتاً عظيماً من السماء قائلاً هوذا مسكن الله مع الناس وهو يسكن معهم وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم الهاً لهم »

وهذا الوصف لا ينطبق على شيء انطباقه على سفينة رأوها بحسب اعتقاد الأقدمين مسكن الله الشمس وهو الذي ينيرها ومتى تظهر في الأفق يصبح الأله مع الناس

ومن هذه الرحلة الخيالية استلهمت عقيدة البعث اذ قيل ان الموت ليس نهاية الانسان ولكنه كغروب الشمس فراق الى حين يعقبه بعث ونشور في عالم أفضل من هذا العالم . وقد انكسرت شوكة الموت وخفت مرارته منذ كان الناس في هذه العقيدة مصطبر وعزاء جميل

٢ — ﴿ الكبش ﴾ — في الصحراء حيث النهر والسفينة هما أبعد الاشياء عن خيال مكانها رمز لآمن بحيوان مما يألفون وهو الكبش لتنويه بمقامه كرب الارباب . لان الكبش عند اهل البادية عنوان على الزعامة كما في قول العرب فلان كبش قومه اي سيدهم وزعيمهم . ذلك لان من خليقته اذا خرج في قطيع من الغنم ان ينفصل عنهُ ويتقدم عليهِ كعادة الزعماء والقادة

ولهذا فان آمن يصوَّر وعلى رأسهِ تاج من قرون . ولما زار الاسكندر المقدوني معبد آمن في واحة سيوه ولقبهُ الكهنة هناك بابن الاله اتخذ لنفسه لباساً للرأس على هيئة قرني الكبش محاكياً بذلك تاج الاله وكان يظهر بهِ في الاحتفالات الرسمية فكان من ذلك تلقيبه بذي القرنين

ومن الآثار الباقية لهذا الرمز في طيبة تماثيل الكباش التي على جانبي الطريق المعروف باسمها الذي انشأه امينوفيس الثالث ليصل بين الكرنك ومعبده الذي شيده لآمن في الاقصر وزاد في عمارته رمسيس الثاني وفي القرن الرابع عشر شيد مسجد ابي الحجاج على جانب من البهو الذي بناه هذا الملك

﴿ انتشار الديانة المصرية ﴾ — انتشرت عبادة آمن را في الأقاليم الجنوبية مع امتداد النفوذ المصري

فيها . ولا يزال في مروى وهي في موضع بانا التي كانت عاصمة مملكة النوبة في الزمن الخالي أطلال معابد باسم آمن را واهرام . وهي في سفح جبل يعرف الآن باسم بركل وكان اسمهُ باللغة القديمة توابر أي المقدس

ومن الآثار الثمينة التي وجدت فيه لوحة للملك يعنخي ملك النوبة الذي غزا مصر في زمن اوسركن الثالث من ملوك الاسرة الثالثة والعشرين وفي هذه اللوحة وصف شامل لهذه الغزوة وآيات على تدينه وشدة تمسكه بعبادة آمن را . من ذلك انهُ لما دخل طيبة قدّم الذبائح للآلهة وامر عسكره اذا ما بلغوا ابواب الكرنك ان يغتسلوا في النهر ثم يلبسوا ثيابهم عند الشاطىء وأوصاهم ان يلقوا سلاحهم ويرخوا خيلهم وان يكف الرؤساء عن التفاخر بقوتهم ما دامو امام آمن فانهُ لن تدوم للاقوياء قوتهم الا ان يخضعوا له . وهو يقوّي الضعفاء ويشدّ اذرعهم المرتخية ويدخل الرعب في الجيش الكبير فيولّي الأدبار امام فئة قليلة . ويعطي قوة الرجل الواحد فيغلب الفاً

ولما تمّ له اخضاع سائر الامراء واستتب له الأمر في البلاد ذهب بنفسه الى بيت الشمس العتيق في هليوبوليس ليقدّم الشكر للآلهة راعلى ما أولاه من النصر « دخل المعبد بافرح والتهليل . وبعد الانتهاء من مراسم العبادة للشمس المشرقة ألبس الملك العباءة وتعطّر بالطيب والماء البارد . ثم جيء له بأزهار نباتات بردي . فأخذ الأزهار وهبط الدرج الموصل الى النافذة الكبيرة التي يعاين منها را . وقف الملك وحده ووضع المفتاح في القفل وفتح مصراعي الباب فرأى أباه را في مطلعه »

آلهة العالم الثاني

﴿ خبر را ﴾ معنى خبر باللغة القديمة المدحرج وهي تطلق على الحشرة المعروفة بالجعران لكونها تضع بيضها في الجعر وهو ما يخرج من الامعاء ولا تزال تدحرجهُ وتضيف عليهِ حتى يكون من ذلك كرة كبيرة . فتدفنها في حفرة وتتركها فيها حتى تتم حضانة البيض فاذا خرجت صغارها وجدت الجعر الذي جعل حولها فتغتذت بهِ

وقد اضيف هذا الاسم الى را لانهُ مثلها يدحرج بيضه وهي الشمس من مشرقها الى مكانها الخفي في المغرب فسمي خبر را . ولما كان اكثر ما يطلق هذا الاسم على را عند بعثه من المشرق فقد جعل من آلهة العالم الثاني وعزي اليهِ انهُ هو الذي يعيد را الى الحياة ويبعثهُ من الأفق

وكان من أثر ذلك عند الأقدمين ان اصبح الجعران رمزاً للبعث فكانوا يصنعون من انواع الحجر المختلفة والخزف مثل هيئة الجعارين وينقشون عليها ما شاءوا من الأدعية والرموز الموافقة لرغباتهم في طول البقاء وحسن المآل ويجعلونها حلية في أصابعهم او على صدورهم او يكتبون

عليها شذرة من كتاب الموتى ويضعونها مع موتاهم ليتقمصوا بها في العالم الثاني . ومن هذه الانواع المختلفة الشيء الكثير في المتاحف وعند الافراد

﴿ آسار ﴾ تروي الأساطير ان آسار او عازار وباليونانية اوزيريس هو الذي علَّم الناس فلاحة الأرض وزرعها واستنبط المحراث وأستأنس الثور وروَّضه على جرّه فأخرجهم بذلك من حالة الفطرة وشق لهم طريق الحضارة . غير انه كان له أخ اسمه ست حسده على المقام الذي صار له بين الناس بصالح الأعمال فأسرَّ في نفسه ان يقتله واتفق مع نفر من انصاره على ذلك فما زالوا به حتى استدرجوه الى حفل لهم ثم اغروه على ان ينام في صندوق أعدوه لذلك فلما فعل اطبقوه عليه فمات ثم قطع ارباً ونثرت اشلاؤه في انحاء البلاد

ولما علمت إزيس وهي زوجه بما اصابه جزعت عليه جزعاً شديداً وتلكما الحزن ثم اصطحبت من البردي زورقاً طافت به في النيل باحثة عن أشلاء زوجها . وكانت كلما وجدت جزءاً خبأته عندها ثم اقامت معبداً حيث وجدته ايهاماً للعدو بأنها دفنته في هذا المكان . وقيل انها وجدت الرأس عند أبيدوس فاعتبرت هذه المدينة لذلك منذ أقدم العصور اهم مركز لعبادته وشيد فيها اهم معابده ولما اجتمعت لدى ايزيس سائر الأشلاء ردت اليه الحياة بقدرتها ومكث معها وقتاً قصيراً أوصى في خلاله هيرو وهو حورس ابنه ان ينتقم من ست فلما بلغ أشده عمل بوصية ابيه وأخذ بثاره فدعي لذلك المنتقم لابيه وأصبح عنوان البطولة عند الاقدمين واني اظن لهذا السبب ان لفظة hero الافرنجية بمعنى بطل هي من اسم هذا البطل المصري . وفي يوم وقد آذن ربا بالمغيب ودع زوجه وابنه وداعاً مؤثراً ثم رفعه ربا اليه في السماء وحمله معه في سفينته الى العالم الثاني . ومنذ ذلك الحين اصبحت مملكته هناك وهو الذي يحاسب الموتى على أعمالهم في الدنيا فالذين اطاعوا وعملوا صالحاً لهم جنات النعيم والذين عصوا وخالفوا شرائعه لهم النار خالدين فيها وعذاب شديد . وصار لذلك يعبد على هذا الاعتبار وترجى رحمته وشفاعة ازيس زوجه يوم الحساب . وأصبح العجل الذي روِّضه لخدمة بني الانسان الأثر الدال على فضله وانزمن الحي للسيد الذي عاش بينهم لهدايتهم

ومما يلاحظ مع العجب ان الأسماء التي يقترن ذكرها في كتبنا بالبعث وبالعالم الثاني مثل لعازر الذي قيل ان المسيح اقامه من الموت وعزرائيل ملك الموت واسرافيل الملك الموكل بالصور ينفخ فيه يوم القيامة . هذه الاسماء جميعها كثيرة الشبه بالاسم القديم عازار او اسار والاحرى انها مستحدثة منه

والعجل المقدس كان يدعى حاب واسارحاب وفي زمن البطالسة سمي سيرابيس وأوزيريس ابيس ثم اختصر الى ابيس وقد غلب عليه الاسم الاخير ولا يزال يعرف به الى الآن

وقد وصفه هيرودوت المؤرخ اليوناني المشهور وكانت زيارته لمصر في زمن الفرس بقوله انهُ عجل اسود في جبهته مربع ابيض وعلى ظهره رسم لسر وفي ذيله شعرات مزدوجة وعلى لسانه جعل ويلوح لقرابة هذه العلامات واستحالة توفرها ان الوصف خيالي لكن هذا لا ينفي انهُ كان لاختياره شروط وان ذلك كان لحكمة هي ان يقتصر التقديس على افراد من العجول دون سائر الجنس تفادياً مما وقع فيه الذين يقدسون البقر اطلاقاً من الهنود ويحرمون لذلك ذبحه

ووصف هيرودوت احتفال المصريين به حين تجليه لهم وعثورهم عليه فقال ان البلاد تصبح لهذه المناسبة في عيد شامل ويلبس المصريون أفخر ملبوسهم . وحدث مرة انهُ تجلّى لهم وقمبز عائد من حرب خسر فيها معظم جيشه . واذ رأى قمبز ان البلاد يشملها السرور عجب بنفسه ان المصريين انما يقيمون الافراح نكاية به وشماتة فيه . فاستقدم عماله الى منف . ولما مثلوا بين يديه سألهم ماذا لم يصنع المصريون شيئاً من ذلك من قبل وهو في منف ولم تطب لهم اقامة الافراح الا هذا اليوم لما عاد اليها وقد مني جيشه بخسارة كبيرة . فاجابوا بقولهم : ان القوم انما فعلوا ذلك لأن معبودهم قد تجلى لهم اليوم وكانوا في انتظار ذلك منذ زمان بعيد . فقال في نفسه انهم يكون . وبناه على هذا الظن أمر بقتلهم ثم استدعى الكهنة وسألهم عن جلية الامر فكان جوابهم كمن سبق . فقال انه يريد ان يرى بنفسه هذا الاله الذي ظهر للمصريين . فصرف الكهنة لاحضاره واذ دخلوا به عليه كان يبدو كأنهُ فاقد الوعي فاستل سيفه وطعن العجل يريد بقر بطنه فاصابهُ في فخذه وانفجر عند ذلك يقهقه ثم قال مخاطباً الكهنة : « ايها الأغبياء كيف تكون الآلهة من لحم ودم وينال منها الحديد . حقًّا انهُ لأله جدير بالمصريين . اني لأخالكم تمكرون بي من غير مبالاة ولن أذركم على ذلك بعد الآن . وعند ذلك أصدر أمره الى الموكلين بذلك من رجاله ان يجلدوا الكهنة ويقتلوا كل مصري يجدونه في لباس العيد . ومات العجل متأثراً من الجرح ودفن خفية من قمبز

وللعجول المقدسة حياة عظيمة في سقاره لا يزال فيها كثير من النواويس الضخمة التي كانت تضم رفاتها . وقد وجد اسم قمبز منقوشاً على احدها ولعلهُ ناووس العجل الذي قتله

آلهة أخرى

(هاثور) معنى هاثور او « حت هيرو » مسكن حورس . قيل سبب هذه التسمية ان حورس سكن اليها في طفولته فأرضعتهُ اذ كانت أزيس أمه في شغل عنهُ بالبحث عن اشلاء زوجها

وهي في حقيقتها رمز الرحمة والعناية الربانية . وهذه القصة تصور للرحمة كيف تكون وللعناية كيف لا تغفل عن الضعيف والطفل الرضيع . ورمز لها في هذه القصة بالبقرة لأنها تعطي من ضرعها للاطفال وتسخو عليهم بلبنها لأشباعهم

ولسنت لها شجرة الجميز فكان من اسماء هاتور سيدة الجميزة لان هذه الشجرة اعتبرت آية من آيات الرحمة يلجأ اليها العاملون في الحقل وعابرو السبيل يجدون في ظلها الوارف غيثاً ووقاية من أشعة الشمس المحرقة . ولا يزال لبعض اشجار الجميز القديمة حرمة عند العامة يسندون اليها الكرامات وينسبون لها الفائدة في شفاء بعض الامراض ويتقربون الى الله بوضع الازيار تحتها ويملأونها بالماء من الرحمة ليستقي منها عابرو السبيل

وقد جعلت هاتور في موضع الرحمة في اسطورة انتقام را التي لخصتها في المقال السابق . فان الاله لما أراد إهلاك الناس لعصيانهم أرسل أداة النقمة وهي سيخت التي تصور في التماثيل على هيئة أنثى لها رأس لبؤة وهي من اشرس الوحوش . فتمخضت في الناس حتى ادركت الاله الرحمة فعفا عنهم وأمرهم أن يصنعوا من عصير العنب والشعير شراباً مسكراً ويسكبوه في الانحاء التي وقعت فيها المذبحة . وهنا تقمصت سيخت رمز النقمة بهاتور رمز الرحمة فقيل ان هاتور أرسلت كرسول انتقام فشربت من تلك الخمر حتى ثملت ونامت فنجا الناس من اظفارها . وجعل الاله على الناس الاحتفال بهذه الذكرى وشرب الخمر في تلك المناسبة باسم هاتور فريضة لذكرى الخلاص

في مقال عنوانه أثر الاساطير في قصة خروج بني اسرائيل نشر في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٣٢ أوضحت أثر هذه الاسطورة في قصة الخروج . وقلت أن التمثال الذي صنعه بنو اسرائيل في برية سينا . كان تمثال بقرة وكان ذلك لمناسبة الاحتفال بعيد هاتور . وبنيت رأيي على ماجاء في التوراة انهم اخرجوا في شهر أيب وصنعوا التمثال في الشهر الثالث من ذلك التاريخ وهو يوافق توت اول الشهور الذي يحتفل فيه بعيد هاتور . وهو العيد الذي اشتق منه بنو اسرائيل الفصح والمصريون شم النسيم

﴿ الخاتمة ﴾ ألممت في دراستي للرموز بأشهر ما عرف منها عند قدمائنا . وخلاصة الرأي فيها انها كانت من خيال الفطرة لتعريف الله وتمثيل صفاته . وأحتفظ بها على سر العصور كميراث قومي من الماضي السحيق وذخيرة مقدسة . وجد الاقدمون لذلك عن تناولها بالتهذيب فأصبحت غاية بأزاء رموز الامم المجاورة التي يتجلى فيها قوة التخيل وجمال التصوير

وبالرغم من ذلك كان الدين ينطوي على اسمى المعتقدات وأكثرها روحانية فانتشر في اليونان وألف بلوتارك رسالة عن أوزيريس هي اوفى ما كتب عن هذا المعبود المصري . وأنشئت المعابد في روما للثالوث المؤلف من اسرة اوزيريس المقدسة . وانتقلت مع الفلسفة اليونانية الى سوريا وفلسطين وهناك تلقحت بالديانة اليهودية وفلسفتها وكانت نتيجة ذلك ثورة التجديد في الدين التي اجتاحت مصر وسائر العالم المتحضر . وانجلت المعركة بين القديم والجديد عن زوال الرموز التي لا خير فيها وبقاء المعتقدات لان فيها ما ينفع الناس وستكون هذه المعتقدات موضوع دراستي في المقال التالي